الأجنحية وحسن الاختيار فى العدول عن هذه الخطة لا حباً للرافعى ، ولا بغضاً للأستاذ قطب ، بل تحرياً للأولى واحتياطاً لما سينجم عن ذلك كله. وللمصدر العدد ٢٥٣ والعدد ٢٥٤ وقرأت . مقالى الأستاذ الزيات عن الرافعى أخذتنى — والله — هزة الطرب ونشوة الأدب لما فيهما من الصفاء النقدى النزيه الذى لاتشوبه ثورة ولا تخالطه كدرة ، حتى لكأن هذين المقالين صورة روحية للرافعى لو صُبتا فى قالب الحياة لكانتا هما الرافعى نفسه . لا تؤاخذنى ياصاحب الرسالة فيما رميتك من سوء الظن . وما كنت أدرى أن سماءك الصافية ستتدفق وابلا من الخير والجمال والحياة تملنا فيه — معاشر المتأدبين — كيف نرتع فى رياض الأدب الجميل الذى لا تصلح له إلا ملائكة السماء أو ملائكة الأرض ليكون مثلا أعلى للناس دائماً

ما ذا يضيرنى إذا قلت للمخطئ " إنك مخطئ " بدلا من أن أقول له إنك غبى ... بليد ... لا، بل يجب على" — وأنا أديب — أن أحتال فى إفهام المخطئ خطأه من غير أن أصارحه به ما دام هناك شعور رقيق وإحساس مرهف . وما دمنا نحمل بين جوانحنا الانسانية المتأدبة التى تحتّم علينا الاحسان والرفق والمودة فلن نجد إلى غيرها سبيلا

أرأيت ما الذى أثار الرافعى والعقاد تلك الثورة المشهورة؟ أليس رضاء النفس والشهوة والكبرياء بما حصل ، أليست تلك زلة الانسانية التى ابتلى الله بها البشر ؟

آه ! ما أحوجنا إلى أدب صاحب الرسالة عسى أن نلتقى جميعاً ذلك اللقاء المحبب ونضم تلك الأجنحة بعضها إلى بعض لتطير فى آفاق الجمال واللذة والنور وندخل فى عالمنا الحافل الملىء بأعاجيب السحر وأناشيد الخلود ، ذلك خير مستقراً وأحسن موئلا

وأخيراً أرجو الأستاذ قطب أن يُحسن بى الظن مااستطاع ، وألا يظن أنى قصدته وحده فيما كتبت . إن ذلك عام ما خصصت به أحداً ، وإنما كان الأستاذ قطب السبب فى ذلك ليس غير ، فله شكرى وأخوتى ومحبتى هو وإخوانه الأدباء

« دمشق » عبد الفتاح غندور

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٩ —

طال انتظاري ولم ترجع ظمياء

وانقضى مساء وصباح ، ومساء وصباح ، ولم ترجع ظمياء

ومضت ثوان ودقائق وساعات وأيام وليال ولم ترجع ظمياء

وتقلبت دجلة من حال إلى أحوال ولم ترجع ظمياء

وطافت بالأشجار والأزهار والرياحين أطياف البؤس والنعيم ولم ترجع ظمياء

وطوّفت بجميع المعانى ، وتذوّقت صنوف اللواعج ، وتشوفت إلى جميع المطالع ، ولم ترجع ظمياء

وتلقيت مئات الرسائل فلم تكن من بينها رسالة عطف أو اعتذار من ليلى أو ظمياء

أيكون هذا آخر العهد بليلى وظمياء ؟

إنى إذاً لمن الهالكين . كتب الله لوطنى وأهلى جميل العزاء !

* * *

ولكن ما السبب فى هذه القطيعة الباغية ، وما أذكر أنى أسأت أو جنيت ؟

أيكون السبب تلك الكلمة الفكاهية التى داعبت بها ليلى بعد رجوعى من البصرة ؟

ربما كان ذلك ، فالمزاح كان ولا يزال من أشنع البليات ، وما استطاع إنسان أن يجرح قلبي إلا عن طريق المزاح. والأحباب ينسون واجب الأدب فيتطاول بعضهم على بعض باسم المزاح ؛ وذنبى فى هذه القضية غير مغفور ، لأنى انقطعت لدراسة الفلسفة عدداً من السنين ، وكان الظن أن أفهم أن المزاح على لطفه لا يخلو من أشواك ، وقلب ليلى رقيق تؤذيه خطرات النسيم ، فكيف لا يؤذيه المزاح ؟

لو رجعت إلى ليلى لأحسنت الاستغفار من ذنبى ، ولكن متى أرجع ؟

لقد داعبتنى ليلى ألف مرة فتقبلت دعاباتها بأحسن القبول ،

وكنت لجهلي أحسب أن ليلى سيرحب قلبها لمثل ما رحب به قلبي فكيف أخلفت ظنوني يا مُنية النفس ويا روح الفؤاد ؟

ماهذا ؟ أنا داعبت ليلى قبل ذلك فلم تغضب ، فكيف تكون الدعابة الأخيرة بداية البؤس ونهاية النعيم ؟

إن من واجبي نحو هواى أن أدرس هذه القضية حق الدرس وقد بدأت أفهم أن كلام الجرائد والمجلات أفسد مابيني وبين ليلى كل الإفساد ، فقد مضت الشهور الطوال والجرائد تهتف باسمي في الصباح والمساء ، وظن الأدباء العراقيون أن الفرصة سنحت لتصفية ما بيني وبينهم من حساب ، وكنت أقرأ ما أقرأ وأنا أبتسم . كنت أقول : هذه يقظة أدبية واجتماعية أردّ بها ديوني إلى العراق . كنت أقول : هذه أقلام صدئت وقد حان لها حين الصقال ، فليكن أدبي هو ذلك الصقال

كنت أقول وأقول ، ولكن التفكير في جوهره غير سليم ما الذي كان يمنع من دفع مفتريات بعض الجرائد والمجلات ؟ ما الذي كان يمنع ؟ كنت مشغولا بواجبات ثقال تكاد تقصم ظهري . ولكن هل تفهم ليلى أني مشغول وأن لي منهجاً يفرض ألا أخرج من بغداد إلا وفي حقائبي خمسة مجلدات ؟

ينبغي أن أعترف بأن مركزي بين الأطباء لم يتزعزع بسبب الأدب وحده ، وإن كانت حرفة الأدب قادرة على زعزعة العروش ، وإنما وقعت النكبة وتقوضت عيادتي بشارع الدابغ وعيادتي بشارع فؤاد لعدم اكتراثي بما يكتب في الجرائد ، وعدم اهتمامي بما يقول الناس

وأصل البلية أني كنت أحسن الظن بعقول بني آدم — وهذا أعظم خطأ ارتكبته في حياتي — فقد كنت أظن أن الناس يميزون بين الحق والباطل فيما يقرأون ؛ وكنت أتوهم أن أكاذيب المفترين لا تضرني ، فكنت أقرأ ما يكتب عني بلا اكتراث ، وأقول : هذه مفتريات ليس لها أساس ، وما قام على غير أساس فصيره التهدم والزوال

وظل الحال على ذلك بضع سنين وأنا أصمّ أذنيّ عن الأقاويل والأراجيف إلى أن دخل عيادتي مساء يوم مريض له شأن في المجتمع ، ويكفي أنه أستاذ في أحد المعاهد العالية ، فلما فحصته وشخصت له المرض اطمأن واستراح ، فدعوته لتناول فنجان قهوة بالمكتب فتفضل بالقبول ، وفي الناس من يتفضلون بالقبول وأنت المتفضل عليهم بالمعروف

وفي أثناء الحديث فهمت أن زوجته عليلة وأنه كان يود أن أمضي لعيادتها لولا خوفه من كلام الناس . وبعد مراجعته فهمت أن مركزه العلمي لم يعصمه من تصديق كل ما يكتب في الجرائد. وعرفت بعد فوات الوقت أن الاعتماد على عقول بني آدم ضرب من الخيال

إن من الجريمة أن نسكت عما يكتب عنا في أمة لا تنقد ما تقرأ ، ولا تمحص ما تسمع . ومن الجريمة أن نسعى إلى الشهرة فان الشهرة أصل كل بلاء ، والرجل المشهور يصدق الناس فيه كل بهتان ، ولا سيما في الأمم التي تضعف فيها الثقة بالأخلاق ، ومصر التي نحبها راضين أو كارهين مبتلاة بهذه البلية ، فأهلها لا يصدقون أن العبقريين والنوابغ أصحاب أخلاق ، وما أزعم أني نابغ أو عبقري حتى أصبح أهلا لتلك الظنون ، ولكني بالحق أو بالباطل صرت من أشهر الرجال ، وللشهرة عقابيل

* * *

كنت أستطيع مع كثرة الشواغل أن أدفع مفتريات بعض الجرائد والمجلات ، ولكن صرفني عن ذلك إيماني بأن ليلى صديقة غالية ، وأنها خليقة بألا تفتح أذنها لما يموّه به الحاقدون من دسائس وأضاليل . ثم كتب الله أن أتلقى عن ليلى درساً لم أظفر بمثله وقد قضيت عشرين عاماً في الحياة الجامعية. تلقيت عن ليلى درساً عظيما جداً ، وأنا أقدمه إلى قراء هذه الذكرات بالمجان وإن كنت دفعت ثمنه من دمعي ومن دمي ، أنا العاشق الذي يعاني ظلام الحب وظلام الليل

استمع هذا الدرس يا قارئ هذه المذكرات . استمع فما أرجو منك جزاء ولا شكوراً ، وإن كنت أشتهي أن تسكب على قبري دمعة يوم أموت ؛ وسأموت ، فلكل أجل كتاب

تعلمت عن ليلى أن الصديق في حاجة إلى حراسة ، وأستطيع أن أقول إن حراسة الغنم أسهل من حراسة الأصدقاء ، ولا يغفل عن حراسة صديقه إلا غافل أو جهول ، وقد خلق الله لكل صديق أذنين طويلتين ، وهاتان الأذنان لهما سمع دقيق ، والصديق يحسبك من بعض ما يملك ، فهو يسمع فيك كل قيل ، كما يسمع

فى داره أوهام المهندسين ، وكما يجتلب لأملاكه صغار المساحين ، وهو يفرح لما يساق إليك من زور وبهتان ، لأنه من بنى آدم ، وابن آدم حيوان ضعيف لم يعش بفضل القوة كما عاشت الأسود ، ولم يعش بفضل الجمال كما عاشت الغزلان ، وإنما عاش هذا الحيوان الضعيف بفضل المكر والدهاء

استمع هذا الدرس يا قارئ هذه الذكرات من الفيلسوف المودّع ، فما فى دنيا كم ما يشوقنى يا بنى آدم حتى أستطيب فيها العيش

استمع يا غافل يا جهول

ليس فى أصدقائك من يسره أن تكون أعظم منه علماً أو جاهاً

ليس فيهم والله من يسره أن يكون إخلاصك فى هواه أعظم وأروع

فالصديق — وا أسفاه — يشتهى أن يثبت لديه أنه أعظم منك فى كل شىء ليتصدق عليك بالعطف والحنان.

الصديق يرضيه أن يقول « أعطيتُ » ويؤذيه أن يقول « أخذتُ »

والأصدقاء علكون فى إيذائك ما لا علك الأعداء

العدوّ متهَم — بفتح الهاء — وتجريحه إياك يتلقاه الناس ساخرين .

أما الصديق فمؤتمن — بفتح الميم — وتجريحه إياك يتلقاه الناس بالقبول

وللأصدقاء أساليب فى تجريح من يصادقون ، ويا ويل من ابتلته المقادير بلئام الأصدقاء ! يترفق الصديق فيقول : أنتم تعلمون أنى شديد العطف على فلان لما بيننا من متين الصلات ، وهو والله رجل مفضال لولا كيت وكيت !

ويتلطف الصديق فيقول : لا تثوروا على فلان فهو عبقرىّ وللعبقريين بَدوات !

وتزداد البلية بالأصدقاء حين تصبح ولك نصيب من المجد . فالصداقة توهمهم فكرة المساواة فى الحظوظ والدرجات ، فإن تقدمت وتخلفوا لم يكن معنى ذلك عندهم أنك أخذت ماتستحق، وإنما كان معناه أنك خدعت زمانك فانخدع ، وأن لك وسائل يعفون عنها لأنهم على تخلفهم شرفاء !

والصديق لا يصدّق أنك تصل إلى منازل المجد بالجهاد وسهر الليل وإقذاء العينين تحت ضوء المصباح ، وإنما يتخيل أنك اغتصبت المجد بالتهويل والتضليل ، ولا يرى لك رأياً طريفاً أو فكرة عبقرية إلا حدثته النفس بأن يغض منها بالتصغير والتزييف .

وأخطر أعدائنا هم الأصدقاء الأعزاء الذين جاريناهم فى ميادين المجد . فهؤلاء لا يتصورون أبداً أن ميادين الجهاد فيها سابق ومتخلف . ولعلهم كانوا يظنون أن من حقهم علينا أن نتخلف ليتقدموا . ولو أننا فعلنا طائعين لما ظفرنا منهم بكلمة تفصح عن حفظ الجميل ، ويكون فيها معنى العزاء ، وإنما نلقى منهم الصلف والاستطالة والكبرياء والعدوان

والأصدقاء يصنعون بعصابرنا ماتصنع جراثيم المرض المدفون ، فهم يقتلوننا عن طريق الاغتيال ، وما نجد فى إدانتهم شاهداً واحداً حتى نقدمهم إلى ساحة الجزاء

وفى الدنيا السخيفة تقاليد تحمى الصديق المخادع من انتصاف الصديق الصدوق . والتفكير فى محاسبة الصديق هو فى ذاته بلية ، لأنه يفتح الباب لأهل اللغو والفضول ، ويعرضك لمآثم الشبهات ومنكرات الأراجيف

والعدو اللئيم هو فى الأصل صديق حميم ... ولكن كيف؟ كان صديقاً يحب أن تكون فى خدمته كيف شاء ، وحين يشاء ؛ فلما التويت عليه بفضل مالك من وجود خاص تنكر وتغير ومضى يضع فى طريقك الأشواك بلا رحمة ولا إشفاق

الصديق الحق هو الذى يعتقد أنك أفضل منه وإن كان فى الواقع أفضل منك

هذا هو الصديق . ولكن أين من يعرف هذا المعنى النبيل ؟

أين الصديق الذى يعرف قيمة التضحية بأهواء النفس ؟

أين الصديق الذى لا يريد أن يتخذ من شهرتك لوحة إعلانات؟

أين الصديق الذى يفهم أن من حقك أن تناضل لتسود ؟

أين الصديق الذى يدرك أن المودة كالصلاة يفسدها الرياء ؟

أين الصديق الذى يرى عيوبه ويعمى عن عيوبك ؟

بل أين الصديق الذى لا تخاف من أن يتزيد عليك؟

وا أسفاه لقد انقضت أحلامى وأوهامى . كنت أرى الجمال

فى وجوه الناس ، فأصبحت لا أراهم إلا وأنا منزعج متخوف كالذى يمسُّ الحية فى غسق الليل . كنت كالطفل يأنس بجميع الوجوه ، ويتسمع لجميع الأصوات ، ويتشوف إلى كل ما فى الوجود ، ثم أمسيت وأشهى مُناى ألا يطرق بابى طارق ، وأن لا تقع عينى على مخلوق

كذلك ابتدأت ، وكذلك انتهيت ، وعند الله والحب جزائى

* * *

آه ، ثم آه ! !

ماهذه الخطوط التى أسود بها وجه القرطاس ؟

هذه الخطوط هى نصيبى من حب ليلى ومن عبث ظمياء

وتلك نهاية من يحسب أن نهار الحب لا يعقبه ليل

تلك نهاية العاشق الغافل الذى قضى الأعوام الطوال فى عبادة الجمال

ولكن ماهذا اللؤم الذى ينحدر إليه قلبى ؟

أمن أجل أيام فى مماذاة الصدود أكفر بالصداقة وبالحب ؟

أحبك ياليلى ، أحبك يا ليلاى

أحبك يا مسكينة لأنى من المساكين

أحبك يا شقية لأنى من الأشقياء

أحبك يا ليلى وسأنحت لك صنما من ضلوعى

أحبك يا ليلى وسأنزف دمى قطرة قطرة ثم أتخذ من حديده خاتماً أقدمه إليك يوم يحين الفراق ، وما أصعب الفراق !

أحبك ياليلى وسأرقم اسمك الجميل على خد القمر وجبين الشمس

أحبك ياليلى وسأترحم عليك فى صلواتى كما أترحم على أبى وأمى

أحبك ياليلى وسأستعذب فى سبيلك محنتى وعذابى

أحبك يالئيمة يا غادرة يا ظلوم ، وأصفح من أجلك عن أهل اللؤم والغدر والظلم والجحود

أحبك ياليلى ، أحبك ، وما أتصدق عليك بالحب ، فأنا أهفو إليك بلا وعى ولا إحساس . وقد حاولت مليون مرة أن أتوب من هواك فما صحّت لى توبة ، ولانفعتنى عظة ، ولاعصمنى عقل ، ولا هدانى وجدان

أحبك يا روحى ويا ضناى . أحبك أصدق الحب ، وأبغضك أعنف البغض ، ولو رأيتك فى هذه اللحظة لروّيت روحى بدمك الغالى ، ولكن متى أراك ؟ تلك أوهام وأضاليل !

لقد نجوت من يدى ياشقية ، فعليك غضبة الله ولعنة الحب !

* * *

أتريد ليلى أن أنتحر ؟

هيهات ثم هيهات ! فأنا طبيب ، ومن الحق أن أداوى الناس وأنسى نفسى

قرأت « شريعة الحب » فقرة فقرة ، وهى مسطورة على قبر الحلاج ، وقد فهمت من أسرار الحروف أن الحب له دواء . ودواء الحب أن تخلق لنفسك شواغل جديدة تصرف قلبك عن إطالة التفكير فيمن تحب

وكذلك فعلت فأقبلت على شهود موسم الحفلات فى بغداد وهو موسم لا يعرف قيمته الا من يراه

شهدت بعض الحفلات التمثيلية التى أقيمت فى المدارس الثانوية ، فعرفت أن التمثيل سيكون له مستقبل فى بغداد . ورأيت أهل العراق يخشون ما يخشاه أهل مصر من اختلاط الجنسين ، ولكن أهل مصر احترسوا بعض الاحتراس، فهم يؤلفون للمدارس روايات تمثيلية تخلو من المرأة ؛ وليت أهل العراق يصنعون مثل هـذا الصنيع إلى أن يفصل الزمن فى قضية اختلاط الجنسين ، فقد رأيتهم يتلون فى المدارس روايات فيها المرأة ، والمرأة فى هذه الحال شاب يلبس ملابس النساء . وأنا أرجو زملائى من نظار المدارس فى العراق أن يفكروا فى هذه القضية ، فظهور الشبان فى ملابس النساء لايقل قبحاً عن ظهور النساء فى ملابس الرجال . وما أقول إن الرجل أشرف من المرأة من حيث الجنس فلكل جنس خصائص ، وإنما أريد أن أقرر أن شرف الرجل فى الرجولة وشرف المرأة فى الأنوثة ، فالمرأة تجرم حين تلبس ثوب الرجل ، والرجل يجرم حين يلبس ثوب المرأة . والاشارة فى هذا الموضوع الدقيق تكفى للبيان

وشهدت حفلة توزيع الجوائز بكلية الحقوق . وكانت حفلة رائعة خطب فيها الدكتور محمود عزمى خطبة جيدة، ولكنه لم يراع براعة المقطع ، فقد ختم الخطبة بإعلان الوفاة ، وفاة أحد المتخرجين . وصح للأستاذ محمود درويش أن يقول « ماهو خوش مقطع هذا » وعند تلاوة القسم أقسم المتخرجون دفعة واحدة بلا خشوع ،

وكان الرأي أن يقسموا واحداً واحداً . وقد تذكرت القسم الذى أقسمته على يد الأستاذ الدكتور طه حسين يوم ظفرت بالدكتوراه الأخيرة فى كلية الآداب ، فقد ترددت وتهيبت ، لأنى كنت أخشى أن يربطنى القسم وحدى ، فلتذكر ذلك أحجار كلية الآداب بالجامعة المصرية ، إن كان للاحجار وجدان

وألقى الطالب حازم المفتى خطبة فصيحة نوّه فيها بالأواصر العلمية بين مصر والعراق . وهنا أذكر أن العراق شرّف مصر حين ائتمنها على كلية الحقوق ، وهو شرف عظيم جداً ، ومن واجب الأساتذة المصريين أن يتذكروا فى كل لحظة قيمة هذه الثقة الغالية . من واجبهم أن يفهموا أن من الشرف أن يموتوا فى سبيل تلاميذهم فى العراق

ومن حسن الحظ أن ذلك الطالب نص على أن مصر تفقهت على يد الشافعي وقد رحل اليها بعد أن تفقه بالعراق

ولو كان لى مجال بين الخطباء فى ذلك اليوم لأضفت إلى هذا أن علماء مصر ظلوا مئات السنين وهم يهتفون : « قال البصريون وقال الكوفيون » وحصير الأزهر يشهد ، وهو فى هذا الباب من أصدق الشاهدين

أعتقد أن العراق أدى حق الأخوة حين وثق بمصر ، ولم يبق إلا أن يؤدى المصريون واجبهم فى حمل الأمانة وحفظ العهد

وخطب معالى وزير المعارف خطبة وجيزة جداً أعلن فيها ارتياحه إلى تبادل العطف بين الأساتذة والطلاب ، وهو معنى شريف

وبعد توزيع الجوائز وتناول الشاى غنى الأستاذ محمود توفيق مع فرقة الاذاعة أغنية طريفة . ثم غنت المطربة زكية جورج أغنية فيها اسم « ليلى » فاشرأبت أعناق الحاضرين للبحث عن مكانى ، وصاح سعادة الأستاذ تحسين ابراهيم : أين الدكتور زكى مبارك ؟ فتقدمت على استحياء والدمع فى عيني ، وشكرت المطربة ، ورجوتها أن تغنيّ : « على بلد المحبوب وديني »

فلما وصلت إلى عبارة « وعينيّ تبقى فى عينيك » نظرتْ إليّ وحدّقت بعطف وحنان ، وفهم الحاضرون الاشارة فضجت أكفهم بالتصفيق ، ورأيت موقفى صار فى غاية من الحرج فانسحبت وحرمت نفسى بقية الأطايب التى وعد بها منهج الاحتفال

وبعد أسبوع حضرت حفلة توزيع الجوائز بكلية الطب فرأيت الطلاب فى صف والطالبات فى صف ، وراعنى أن يكون الطالبات جميعاً من البيض ، فيا رباه كيف جعلت ليلاى بالعراق سمراء ! ... أحبك ياليلى وأحب شعاع السمرة وهو يتموج فى سرائر وجهك الجميل !

وأقسم المتخرجون اليمين واحداً واحداً . وليتهم أقسموا دفعة واحدة ، كالذى وقع فى كلية الحقوق ، فقد قضيت نحو ألفى ثانية وأنا أسمع « وأقسم أن لا أفشى سراً لمريض » وأدرك الأستاذ مهدى كبة حيرتى وذهولى فقال : تلك عاقبة من يفشى أسرار مرضاه من الملاح

فضحتني يا ليلى ، شفاك الله وعفا عني !

ولما خرجت من الحفلة مضيت إلى محطة الاذاعة ، مضيت أستجدى الصوت المأثور :

يقولون ليلى فى العراق مريضة فيا ليتنى كنت الطبيب المداويا

ولكن سكرتير الاذاعة فى هذه المرة رجل له وجه الجاحظ ولو شئت لقلت إنه الصفوانى . وقد اعتذر عن إذاعة ذلك الصوت لأنه لا يريد أن يحول أهل العراق إلى مجانين . كأنه يعقل !

وخرجت مع الأستاذ ابراهيم حلمي راجياً أن يكون في سمره الطريف ما يخفف حزنى ، فما خفّ حزنى ولا تزحزح ، ورجعت إلى البيت وأنا مكروب

وقتُ قُبيل الفجر مرتاعاً لطرق الباب ، فتدثرت وخرجت فاذا الجار العزيز يسأل عن حالى وفى ذراعه زوجته المصرية النبيلة التى رعت غربتى أكرم رعاية . فقلت : خير ! ما عندك يا سيد داود ؟ فأجاب : لقد استيقظت السيدة وهى مرعوبة ، لأنها سمعتك تصرخ : آه ، آه ! يا ليل يا ليل ! وقد حسبناك مريضاً فحضرنا للاطمئنان عليك

فقلت : أنا بخير كما ترون ، وصوبت بصري إلى الزوج وقلت : الرفق لا يستغرب من عراقىّ مثلك . ونظرت إلى الزوجة وقلت : الأزهار المصرية رقيقة الأوراق

أنا كنت أقول : آه آه ؟ هذا صحيح ، ولكنى ما كنت أقول : « ياليل يا ليل » ؟ وإنما كنت أقول : « يا ليلى يا ليلى »

فضحتني يا ليلى عند جيرانى ، وقد شفاك الله ، فتى يمن على بالشفاء ؟

وفى ظهر ذلك اليوم المنيف مضيت لشهود حفلة الطيران ، وهى حفلة سنوية يستبق إليها أهل بغداد من رجال ونساء ، أقيمت الحفلة فى المطار المدنى ودامت ثلاث ساعات شهدت فيها الأعاجيب وعرفت أن فتيان العراق يعرفون معنى السيطرة على الهواء ، وكان فى المنهج صورة طريفة من التقاط الرسائل ، فألقيت بنفسى فى ساحة المطار وقدمت رسالة إلى الله عز شأنه أدعوه أن يزيح الكرب عن أهل فلسطين ، فإن شكاياتهم من الظلم كدرت جميع الناس ، وآذت المنصفين من أحرار اليهود . وأشهد صادقاً أنى رأيت ناساً من بنى إسرائيل يتوجعون لمصير العرب فى فلسطين ، وفلسطين الشهيدة لا تدافع اليهود من العرب ، وإنما تدافع اليهود الأجانب الذين يدخلون عليها بلا تسليم ولا استئذان فيغرسون الحقد على سائر اليهود فى الأقطار العربية . وشهدت الطيران القاصف ، طيران الهجوم ، فتمنيت لو ساد السلام وتحول الطيران فى جميع بقاع الأرض إلى وسائل اقتصادية

وشهدت تشكيلات الأسراب فرأيت كيف تقام الخطوط الهندسية فى أجواز الفضاء وفى الناس من يعجز عن إقامة الحدود الهندسية فوق القرطاس !

ورأيت الطيران الأهوج فتمنيت لو سموه طيران القلوب . فليس لأحوال القلوب ميزان !

كانت حفلة الطيران ممتعة من كل جانب. وقد خبلت عقلى فلم أنتبه إلى أن مكانى كان قريباً جداً من مكان جلالة الملك . ولو كنت تنبهت لتشرفت بمصافحته وهنأته بما وصلت إليه القوة الجوية فى العراق

وبعد أيام شهدت حفلة الكشافة ، وهى تجل عن الوصف ، وهى الشاهد على أن شبان العراق نقلوا إلى بلادهم أقوى مظاهر التمدن الحديث

وبفضل هذه الحفلة عرفت كيف أنشئ فى دار المعلمين العالية فرعاً للألعاب الرياضية

كان فى الحفلة كشافون وكشافات ، وكان من تقاليد الكشافين أن يحيوا المقصورة الملكية ، فيرد عليهم جلالة الملك بتحية أرق وألطف ، أما الكشافات فكن يمررن على المقصورة الملكية بلا تسليم

آه ثم آه من دلال الملاح !

***

داويت قلبى بهذه الشواغل التى أتاحها موسم الحفلات فى بغداد

وحسبت أنى نجوت من عقابيل الصبابة الباغية

ولكن هيهات

ثم لطف الله لخضرت ظمياء

— إيش لونك يا دكتور ؟

— بخير وعافية ياظمياء ، لولا الذى تعلمين ، وإيش لون ليلى ؟

— فى عافية الفرس الجموح

— ومتى أراها يا ظمياء ؟

— لن تراها إلا إذا استغفرت من ذنوبك ؟

— وهل للأطفال ذنوب يا ظمياء ؟

— اسمع يا دكتور ، إن الدسائس حولك كثيرة جداً ، وليلى توجه إليك تهمات تهد الجبال

— أنا متهم يا ظمياء ؟ متهم فى بغداد ؟ وعند ليلاى ؟ آمنت بالله ، وكفرت بالحب !

— تشجع واحتمل الصدمات ، فقد عشت دهرك من الشجعان ومن الصابرين

— وكيف تتهمنى ليلى يا ظمياء ؟

— هى تتهمك ، ولك أن تدافع عن نفسك إن استطعت !

— أفصحى يا ظمياء ، فقد طار صوابى

— اسمع يا دكتور ، إن ليلى توجه إليك التهم الآتية ، وكلها مزعج مخيف

أما التهمة الأولى فهى :

(للحديث شجون) زكى مبارك

الدكتور يوسف زكى

الحائز على الدكتوراه فى جراحة وطب الأسنان

من جامعات ألمانيا

أحدث الطرق الفنية فى العلاج بالكهرباء

العيادة { ميدان الفلكى . (باب اللوق) عمارة باناجا : تليفون ٤٤٧٥٢